الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لاتتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

صناعة الرئيس

خالد نعمة الشاطي

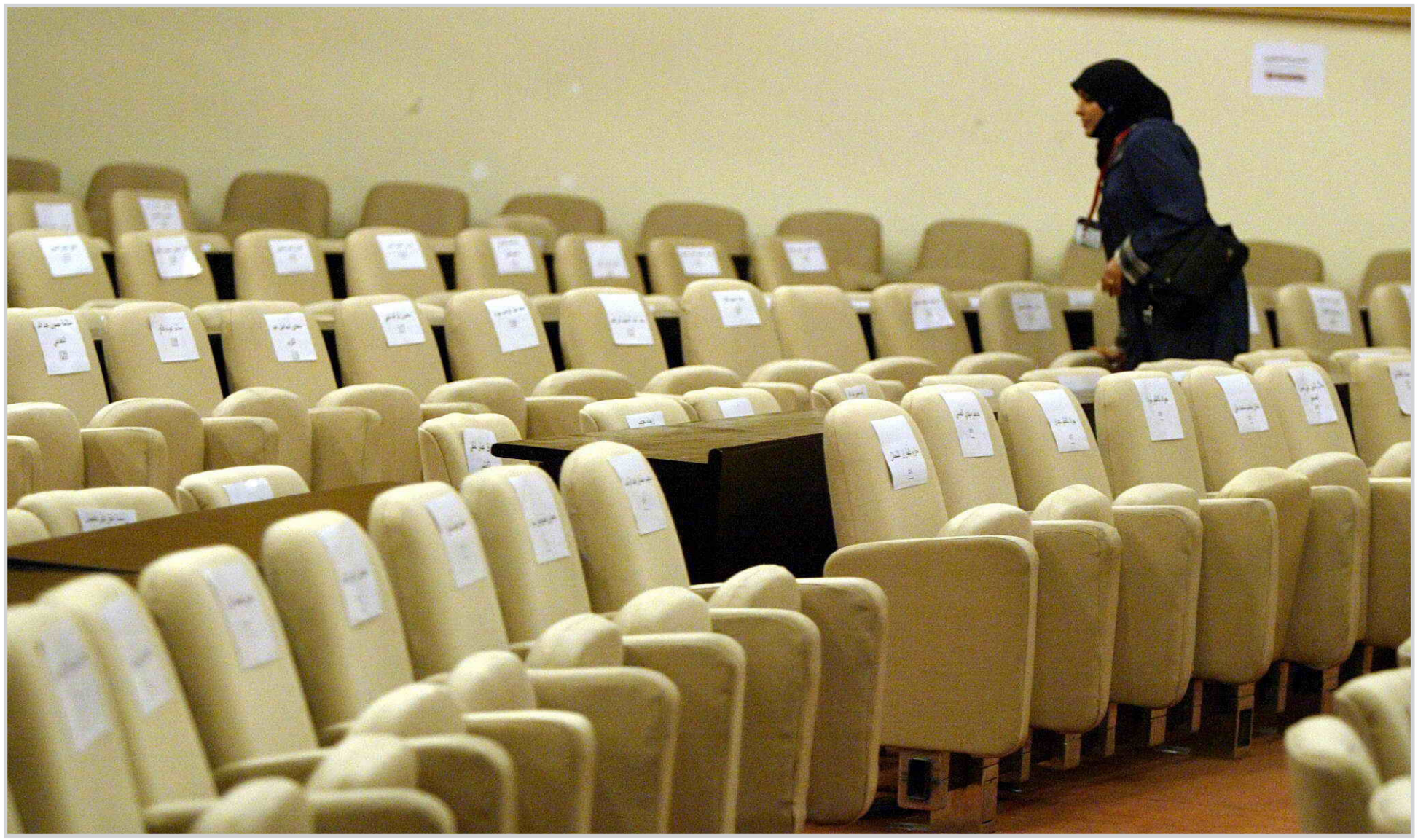

انتهت الخطوة الأولى من الخطوات الألف للميل.. الزهرة الأولى للشجرة الديمقراطية.
انتهت الانتخابات البرلمانية بشكل امتلأنا فيه سروراً وغبطة وأثلج صدر العالم المتحضر وأصابه بالدهشة بقدرتنا السريعة على أن نكون ضمن ركب التمدن والحضارة.
ومن الجانب الأخر أزعجت هذه الانتخابات كل الأنظمة الشمولية والديكتاتورية التي راهنت على فشلها وملأتها خوفا من أن ترنو شعوبها إلى تجربة العراق الوليدة.

رحلة صناعة رئيس

ولكن هل تستمر التجربة بهذا الشكل الشفاف إلى نهاية الطريق واختيار الحكومة وأعمدتها.
انها هواجس الديمقراطية ومخاوف الديكتاتورية.
من الأهمية بمكان القول أن الديكتاتورية والديمقراطية هما من الكلمات القليلة جدا التي تمثل ركائز أساسية ومهمة تقف عليها سياسة عالم اليوم والتي سبق وانحصر بينهما صراع دموي مرعب استمر مئات الآلاف من السنين.
ما هو المفهوم المعاصر الذي يترسخ في أذهاننا (نحن الذين لا نستطيع أن نرى إلا من بعيد) تجاه كل من هاتين المفردتين (الديكتاتورية والديمقراطية) حتى يكون بمقدورنا اختيار الحكومة والرئيس بالاعتماد عليهما.
الديمقراطية.. بمعناها البسيط هي أن تصنع خروفا من بين مجموعة اسود ليحكمك، وينفذ قراراتك ويلبي حاجاتك الأساسية، وبالتالي فان هذا الخروف (الأسد) سيكون قويا ومتزناً وعقلانيا لان مادته الأولية التي ساهمت في صناعته قوية ومتينة وهي (الأسود) التي تضبط سلوكياته ومسيرته وقراراته. ولذلك نرى في جميع البلدان الديمقراطية أن قرارات الأغلبية (وهي المادة الأولية باختيار الرئيس) هي التي تنفذ وتمارس.
واما الديكتاتورية فهي انك تصنع (أسداً) من بين مجموعة خراف ليحكمك.. وبما أن الخروف لا يمكن أن يكون أسداً (حسب تصور الخروف) إلا بعد أن يمارس مهمات الأسد، لذلك تجد أن قراراته غالبا ما تكون قاسية ودموية لعدم وجود قاعدة متينة ومادة أولية قوية تضبط تصرفاته وقراراته لأنها أصلاً مجموعة من الخراف. وغالبا ما يلجأ هذا الأسد (الخروف) إلى وسائل عديدة لكي يثبت لنفسه بأنه أصبح أسداً حقيقياً، وأول هذه الوسائل هو التهام الخراف التي جعلت منه أسداً..
ولهذا فان الحكمة تقول، انه من اليسير عليك أن تكون أسداً ويحكمك خروف لأنك في هذه الحالة قادر على إزاحته وتبديله لو ساءت نواياه وشذ عن الطريق..
ولكن من العسير عليك أن تكون خروفا وتصنع من خروف أخر أسداً وتمنحه سيفا ليحكمك ويتصرف برقبتك كيفما شاء..
ومن الضرورة القصوى ألان النظر إلى حقوق الإنسان والحريات الممنوحة على وفق هذه الحقوق لهذا الإنسان الذي يعيش على هذه الأرض بسبب ارتعاشنا من المقارنة بين البشر المطبوع في عقولنا ويسبب رجفة دائمة في عظامنا وأعصابنا وقشعريرة في نفوسنا، ومن خلاله صياغة العقلية السياسية لشخصية الرئيس الذي سيقع الاختيار عليه.
لأننا لو جمعنا كل الحريات الممنوحة للإنسان العربي في البلدان العربية (مثال الديكتاتورية) لوجدناها لا تكفي طفلا صغيرا أن يلعب الغماية في باب منزله دون أن يتذكر صرخة أبيه.
ولو تفحصنا حرية مواطن واحد من البلدان الأوربية (مثال الديمقراطية) لوجدناها كافية لان تكون دافعا قويا لابتكار المعجزات والاختراعات والمنجزات والمشاريع الإبداعية.
قال احد الفلاسفة من الماضي القريب..
ان الحمار في البلدان الأوربية يتمتع بلائحة كاملة من حقوق الحمار إضافة إلى تمتعه بشيء من مفردات حقوق الإنسان. اما الإنسان في البلدان العربية فانه لا يتمتع بأي شيء من لائحة مفردات حقوق الإنسان ولا يتمتع حتى بمفردات حقوق الحمار.
وبناء على هذه الصورة فان الشعور الذي يتراكم في عقولنا بان الحرية ممنوحة لنا من قبل الكراسي العليا وبالتالي فإنها معرضة دائما للتصرف أو الإلغاء أو التقنين والتعديل، يجب أن يتعرض هذا الشعور إلى التربية والتدجين والتمحيص والغربلة حتى نصل إلى اليوم الذي نعي فيه أن الحرية هبة ربانية تولد مع الإنسان عند ولادته ومن حق الإنسان نفسه فقط أن يمتلك القرار بالتصرف في حريته كيفما شاء، وليس من حق الجالس على الكرسي مهما كان نوعه أو عنوانه أن يعمل على إلغائها.
ولذلك فان الحرية الممنوحة للفرد تمثل المجال التنافسي الأكبر في الدول الأوربية للوصول إلى كرسي الرئاسة وعليه يستوجب على المنافس ابتكار أفضل الوسائل في صيانة الحرية وتقديمها بشكل أفضل للفرد وتنميتها وتشذيبها من الخروقات الطارئة التي تقف عائقا أمام ممارسة الإنسان لحريته بالطريقة التي تحفظ كرامته وإنسانيته.
وفي الوقت الذي تعمل فيه الدول الأوربية على أن الديمقراطية هي المبدأ الوحيد للشرعية السياسية المقبول حاليا في المجتمعات السلمية، مهما كانت اعتقاداتها ومواقفها الدينية وهي التي تلبي حاجات المجتمعات المعاصرة، وأنها فعلا الخيار الوحيد الناجح في سبيل تحقيق الإدارة السلمية العقلانية للشؤون العامة، وهي أكثر الوسائل فاعلية في الحد من سوء استخدام السلطة وحماية الحريات الشخصية وتمكن الأفراد من الاهتداء إلى الانجاز الشخصي.
نعمل نحن (الذين لا نستطيع أن نرى إلا من بعيد) في الدول العربية في نفس هذا الوقت على أن الديمقراطية هي مشروع مؤجل حتى تتوفر الشروط الأخرى.
والكارثة هنا نحن لا نعرف حتى هذه اللحظة ما هي الشروط الأخرى.

حرب الشِّعارات

عبد الكريم يحيى الزيباري

إذا لمْ يكُنْ شعاري إِلَيكُمْ ذَريعَةً، فَيا لَيتَ شعري: ما تكونُ الذَّرَائِعُ؟ هَذا لسان حال الأَحزاب، ولسان حال المواطن العراقي يقول: يا ليت لي نعلين من جلد الضبع، وَشرَكاً منْ إِسْتِهَا لا تَنْقَطعُ، ولسان حالي يقول: ليتَ الحرب بين الأَحزاب تبقى في خانة الشعارات الصادقة القابلة للتطبيق، بعيداً عن المزايدات الوطنية الرخيصة، كما في دول العالم الأول، ولا تنتقلُ إلى حرب الشوارع والأزقة والمحلات، ويقول في ذلك عنترةِ العبسي يَذُمُّ التمني والطمع الكاذب(ألا قاتلَ الله الطلول البواليا، وقاتل ذكراك السنين الخواليا، وقولك للشيء الذي لا تناله، إذا ما هو أحلولي ألا ليت ذاليا).
كان رولان بارت يتنزَّه في بلدته التي تقع في الجنوب الغربي في فرنسا، بلدة هادئة يقطنها صغار المتقاعدين، فقرأ على باب فيلات ثلاث، ثلاث لافتات مختلفة(كلب شرير- كلب خطير- كلب للحراسة)فأخذ يفكِّر في تفاحة نيوتن، واستنتجَ بارت (إنَّ هذه التعبيرات الثلاثة لا تكون سوى تعبير واحد ورسالة واحدة: "لا تدخلوا" وإلا ستُعَضُّون..عبارة "هذا كلب شرير" عبارة عدوانية، وعبارة "هذا كلب خطير" تنمُّ عن حب للبشر، وعبارة "هذا كلب للحراسة" عبارة تبدو في ظاهرها موضوعية.. مالك الفيلة يختبئ وراء خطابه) رولان بارت- هسهسة اللغة- ترجمة د.منذر العياشي- مركز الإنماء الحضاري- ١٩٩٩- حلب- ص١٦٠.
يختبئ كل حزبٍ وكل قائمةٍ انتخابية وراء شعاراتها، وكلُّ إنسانٍ وكلُّ جماعة بشرية تختبئ وراء لغتها، ويضيف بارت(فالمجتمع ببناه الاجتماعية- الاقتصادية والعصابية، يتدخَّل وهو الذي يبني اللغة كما لو أنَّها حَيِّز حربي.. ولقد نقول إنَّ الترادف هو الذي يسمح للغة بالانقسام، ذلك لأنَّ الترادف مُعطى نظامي وبنيوي وهو على نحو من الأنحاء مُعْطَى طبيعي من مُعطيات اللغة، ولكن الحرب اللغوية هي نفسها ليست طبيعية: إنَّها تنشأ هنا، حيث يحوِّل المجتمع الفوارق إلى صراع/ بارت/ هسهسة اللغة/ ص١٦٠).
والإنسانُ لا يُظْهِرُ ولا يكشفُ هويته حتى يُطلبَ منه ذلك، لكنَّه غالباً ما تنكشفُ هويته بمجرد نطقه لكلمات محدودة، فهَل بمقدور أحدهما- اللغة والهوية- الاستغناء عن الآخر؟ وبماذا تمتازُ كلُّ أمَّةٍ عن غيرها؟ كيف للغة أن تميِّزَ خطاباً عن آخر؟
اللغة موجودة حتى في صمت الإنسان، وطريقة نظره شزراً أو جذلاً، أو حزناً، أو عن طريق لمسةَ خفيفة، أو نظرة موحية تقول أكثر مما تقولهُ مقالةٌ طويلة، واستشهد جان جاك روسو(ويذكر شاردان أنَّ الدَّلالين في جزر الهند يمسكُ بعضهم بأيدي البعض، ويغيِّرون من أساليب تلامسهم، بحيث لا يفطنُ إليهم أحد، فيعقدون بذلك كل صفقاتهم سرّاً على رؤوس الملأ، ومن غير أن يتبادلوا كَلمةً واحدة.. وهو ما يبيِّن أنَّنا نقدر بالاقتصار على أحد الحسِّين اللذين بهما فعالياتنا على أن نجعلَ لأنفسنا لغة... بل ثَمَّة ما يدعو إلى الاعتقاد بأنَّ لغة القنادس ولغة النمل إنَّما هي لغات إشارة، ولا تُخاطب إلا العيون/ جان جاك روسو- محاولة في أصل اللغات- ت: محمد محجوب- آفاق عربية- ١٩٨٦- بغداد- ص٣١.
ولغة النمل حقيقة علمية قال بها القرآن، وأكدتها الأبحاث العلمية، فمن غير المعقول أنَّ النمل وهو يعيش في نظام عائلات، ويتم توزيع الوظائف بحسب الفئات العمرية، والطبقة العائلية، بين آلاف النمل، وبناء المستعمرات الكبيرة، بدون وجود لغة للتفاهم. وذكرَ الجاحظ في كتابه الحيوانِ عن النمل(إنّ سادتها اللَّواتي يخرُجْنَ من الجُحْر، يرتَدْنَ بجماعتها، ويستبقن إلى شمٍّ الذي هُو مِنْ طعامهنَّ/الحيوان- ج٤- باب سادة النملَ- ص٣٠٤.
والنمل يعتمد الرائحة لغةً للتخاطب والتفاهم، وهي لغة خفية، صامتة، حيث تفرز مواد كيماوية " فرمونات "، ويقصر الباحثون استخدام كلمة " فرمون " على وصف الرسائل الكيماوية المتبادلة بين حيوانات من السلالة نفسها، وإذا طبقنا هذا على عالم النمل نجد أن النمل يتميز برائحة خاصة تدل على العش الذي ينتمي إليه، والوظيفة التي تؤديها كل نملة في هذا العش، وحينما تلتقي نملتان فإنهما تستخدمان قرون الاستشعار، وهي الأعضاء الخاصة بالشم، لتعرف الواحدة الأخرى، ووجدَ أنه إذا دخلت نملة غريبةٌ مستعمرةً غير مَستعمرتها، فإنَّ النمل يتعرفُ إليها من رائحتها، ويعتبرها بمثابة عدو، ويهجم عليها، وفي إحدى التجارب وُجدَ أنَّ إزالة الرائحة الخاصة ببعض النمل التَابع لعشيرة معينة، بإضافة رائحة خاصة بعشيرة أخرى عدوة، أدَّت إلى مهاجمته بأفرادٍ مِن عشيرته نفسها. وفي تجربة أخرى عم غمس نملة برائحة نملة ميتة ثم أعيدت إلى عشها، فلوحظ أن أقرانها يخرجونها من العش لكونها ميتة، وفي كل مرة تحاول فيها العودة يتم إخراجها ثانية على الرغم من أنها حية تتحرك وتقاوم، وبعدما تمت إزالة رائحة الموت فقط تم السماح لهذه النملة بالبقاء في العش.
وكذلك الإنسان الغريب تنكشفُ جنسيته وشخصيتهُ وطريقة تفكيره بَعدما يتكلَّم، كما قال إبرهة الحبشي لعبدالمطلب: قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم زهدت فيك حين كلمتني أتكلمني في مائتي بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمني فيه، فقال له عبد المطلب إني أنا رب الإبل وإنَّ للبيت ربّاً سيمنعه، قال إبرهة: ما كان ليمتنع مني. قال أنت وذاك.
من طريقة كلام إبرهة نستنتجُ أنَّه صاحب فراسَة، ولكنَّه لم ينجو من الخطأ بسبب كَبريائه، والكبرياء بداية السقوط، فهو قد قرأ في وجه عبدالمطلب سيماء الحكمة والوَقار، وكان يتوقَّع منه أنْ يطلب منه الرجوع أو يتفاوض معه على الأقل، لينقذ الكعبة.

من فاز ومن خسر؟

اختلافات القوائم الكبيرة قد تؤخر تشكيل الحكومة

عماد جاسم

بعد ايام قليلة من انتهاء الانتخابات تصاعدت حدة الخلافات بين القوائم الكبيرة وتبادل الاتهامات خاصة بعد اعلان النتائج الجزئية هذا ما أثار القلق في الشارع العراقي من ان يؤدي ذلك الى تاخير تشكيل الحكومة المرتقبة لكن بعض السياسيين والمتابعين اعتبروا هذه التصعيد مسالة طبيعية وتحدث في الكثير من البلدان التي تشهد حالات انتخابات متكررة وغالبا ما تترافق شدة التوترات مع اعلان النتائج.
وبين السيد حسين الشعلان مرشح القائمة العراقية ان هناك اجتمعات بدأت بالانعقاد بين بعض قيادات الكتل الكبيرة لاحتواء الأزمة والتي قال انها لا تدعو الى القلق ولن تؤثر على العملية السياسية مشيرا إلى أن تأخر اعلان النتائج وعملية اظهارها بتلك الطريقة الجزئية وما رافق ذلك من شكوك في التزوير كان لها الاثر البالغ على امزجة السياسين التنافسين وساعدت على تصعيد نبرة تبدل الاتهامات التي نتوقع انها تتجه نحو التهدئة في الايام القليلة القادمة من خلال حكمة ما وصفهم بالعقلاء من القادة السياسين الذين يتواصلون في عقد اجتمعات شبه يومية للخروج من الازمة.
في حين شدد السيد عبد الاله النصراوي امين عام الحركة العربية الاشتراكية وعضو ائتلاف دولة العراق شدد على ضرورة ان تضع الكتل الكبيرة نصب اعينها مصلحة البلد ومحاولة ايقاف الاحتقانات رغم ان تلك الخلافات لا تدعو للقلق فهي تحدث في معظم الدول الديموقراطية بعد فترات الانتخابات
لكن من الضروري تحجيم التصريحات النارية التسقيطية والتذكير بوضع الثوابت الوطنية في قمة الاهتمامات
أثناء الحوارات التي نجد انها تتجه إلى فهم مشترك لطبيعة التنافس الانتخابي وتبعات ذلك التنافس الذي يعتبر جديداً على العملية السياسية في العراق وهناك قناعة متولدة عند الكثير من السياسين ان المتضرر الوحيد من تاخير تشكيل الحكومة هو المواطن الذي جازف وسط كل المخاطر وتوجه الى صناديق الاقتراع سعيا لانجاح العملية السياسية ومحاولة تحسين الواقع وبدا الآن هناك مسؤولية اضافية للسياسين لاجل تبني خطط المصالحة الفعلية المبنية على تحديد المشتركات ونسيان الخلافات
في حين أعاب السيد محمد مهدي البياتي مرشح الائتلاف الوطني العراقي اعاب على بعض الكتل والقوائم الكبيرة وضع مصلحتها الحزبية والفئوية في المقام الاول في محادثات التسوية مشيرا الى وجود خلافات وانقسامات أخذت تتوسع داخل القائمة الواحدة من الان رغم ان النتائج لم تتضح
بشكل دقيق وهذا ما ينذر بخطر كبير يهدد العملية السياسية في العراق وقد يؤدي الى انزلاق البلد الى الفوضى
والعنف وهذا ما يخشاه الشعب المنتظر بفارغ من الصبر اتفاق الكتل الكبيرة لتشكيل الحكومة ونعتقد ان ذلك لن يحدث الا بتقديم تنازلات للكتل بطرق حضارية ودية لاجل اقامة جسور التواصل والمصالحة تجنبا الى حدوث اي نوع من الاحتقانات.